على هامش النقد :

قصص وأساطير

١ — أساطير الحب والجمال ... ... دريني خشبة
٢ — عشاق العرب ... ... كامل عجلان

للأستاذ سيد قطب

(١)

ليس هذا الكتاب « ترجمة » بالمعنى الكامل وليس « تأليفاً » كذلك ، فهو استعراض لهذه الأساطير عند الإغريق فطلق من التقيد بالنصوص ... ولست أدري أكان من الخير أن يسلك المؤلف هذا الطريق ، أم أن يسلك طريق الترجمة الدقيقة لأصل من أصول هذه الأساطير أو لبحث حولها أو لتفسير . ولكن وجودها في المكتبة العربية — على وضع من الأوضاع — هو بدون شك كسب لهذه المكتبة كبير . وقد تلقيتها بفرح ، وعشت معها أسبوعين ؛ كانا فرصة لأن أعاود قراءة ترجمة الالياذة الاغريقية ، والشاهنامة الفارسية ، والرامايانا الهندية ، وبعض الأساطير المصرية . لأعيش فترة من الزمن في هذا الجو الأسطوري الجميل ، ولأصاحب الطفولة البشرية المذهبة . بعض الوقت ، ولتكون لدي الفرصة — على قدر الامكان — للاحظة الخصائص القومية في الأساطير واللاحم . وهي أصدق المعايير . لأنها من عمل الشعوب في الحقيقة لا من عمل الأفراد .

* * *

وقد أثار وجود هذه المجموعة في اللغة العربية ، شوقي لأن يوجد لها نظير عن « الأساطير المصرية » ، ومجموعة عن « الأساطير الهندية » . وإن كنت قد سمعت — ولم أقرأ — عن مجموعة صدرت للأساطير الشرقية

إن لمصر القديمة، مصر العريقة، مصر الضاربة في مجاهل الأبد ، الثابتة في جذور التاريخ . إن لمصر هذه أساطير راقية وحياة روحية رفيعة . وقد ثبت مما لا شك فيه أن الاغريق قد تناقلوا كثيراً من هذه الأساطير ، وتسلفوا الكثيرين من الآلهة من هنا من مصر ! وتقفوا ثقافة مصر الروحية والعلمية والاجتماعية والقانونية ، ثم أقاموا عليها حضارتهم بعد ألف عام .

ولكننا نقف عن هذا كله ، فلا نلتفت إلى هذه الذخيرة الضخمة التي لا يزال العالم الحي يقبس منها . ففي عصرنا الحاضر يوجد في أوربا من النحاتين من يقيمون مذاهبهم على أساس الفن المصري القديم ، ويوجد من رجال الآثار ومن رجال الأدب من يتعمق دراسة الآثار الروحية والدينية لمصر القديمة ، ومن يحيل هذا الزاد طعاما حاضراً شهياً ، يزيد به ألوان المائدة العالمية

أما في مصر فلا شيء من هذا كله . إنما يكتب المفتونون منا بالحضارة الاغريقية ، فيصورونها حضارة هبطت من سماء الأولمب ، ولم تسق مرة واحدة من نبع النيل . اللهم إلا رجلاً عظيما — عظيما جداً لأنه نجا من هذه الفتنة — هو المرحوم عبد القادر حمزة باشا ، ذلك الذي حاول في كتابه الخالد « على هامش التاريخ المصري القديم » أن يكشف لقراء العربية عن هذا الدين القديم !

وللشرق على وجه العموم — ولا سيما الهند — ثقافاته العريقة ، ثقافاته الروحية والفكرية . ولكن المكتبة العربية منها خواء . وعندما عثرت على ترجمة مختصرة لرامايانا (مجازفات راما) من « مطبوعات مجلة النفير » أحسست أنني عثرت على شيء نادر ! ليس لدي من مثله إلا القليل . شيء نادر لأنه شرقي . ونحن المفتونين عن مصر وعن الشرق . لا نحفل من هذه الذخائر ما تحفله الأمم الحية في الغرب ، التي تستنفد كل ما خلفت البشرية من ثقافات فتحيله غذاء شهياً على مائدتها الحافلة بالشهي اللذيذ !

أفلم يئن لنا أن نعرف أنفسنا كما عرفها العالم المتحضر ؟

إنني لأشعر بفيض من السعادة يوم أجد المكتبة العربية حافلة بالمترجمات من كل ثقافات العالم . على ألا يبقى ركن الثقافة المصرية وركن الثقافة الشرقية كما هما اليوم يعشش فيهما العنكبوت ! ! !

* * *

يحس القارىء للأساطير الاغريقية أن الحياة المتنزية الوثابة هي الحكم في هذا الكون العريض ، بينما يحس في الأساطير المصرية أن العدل والخير والمبادىء الخلقية هي القانون أما الأساطير الهندية فتخيل إليه أن التضحية والصبر والتسامح هي محور الوجود . فإذا اجتازها إلى الأساطير الفارسية أحس أن

القوة والمراسم والنظام هي دعائم الحياة » وذلك على تقارب الهند وفارس فى الإصل الآرى القديم » .

وأوضح الأمثلة على هـذه اللاحظات أساطير هرقل ، وأوزريس ، ورأما ، ورستم .

فمجازفات هرقل كلها تنفيذ لقضاء أعمى مبعثه نزوة شخصية لبعض الآلهة . ومأساة أوزريس هي تغليب للعدل والخير على الظلم والشر ، وقد وقفت قوى الآلهة فى صفه تحقيقاً لهذه المثل العالية .

ومجازفات راما كلها تنفيذ لعهد واجب الوفاء مهما يكن فى سبيله من تضحيات فوق الطاقة البشرية المحدودة . ووقائع رستم كلها تمجيد للقوة الخارقة التى تخضع مع هذا للنظام وتعترف بمراسم السلطان !

تجمع آلهة الإغريق إلى قدرة الآلهة حماقات البشر . قانونها شهواتها . تحبط كيفما قادتها البدوات والنزوات . ويقع الخير فى أعمالها كما يقع الشر كأنما هو اندفاع من اندفاعات الحيوية المابضة فى الوجود . أما آلهة المصريين فتهدف فى تصرفاتها إلى تحقيق مبادىء خلقية وإنسانية قوامها الخير والعدل والفضيلة ..

ألا ماأحوجنا إلى أن تكون أساطير العالم كله بين أيدينا لنعرف حقائق الشعوب ! إن غاندى وصبره وسماحته مثلا ، لا يفهم كما لا يفهم تاجور إلا بعدد من الأساطير الهندية تشرح عناصر النفس الهندية وتفسرها خير تفسير .

* * *

وشيء آخر يحسه قارىء الأساطير الأغريقية . يحس بالعبادة للطبيعة ، والفتنة بالجمال ، والنشوة بالحركة . الحركة العنيفة . التى لاتقر ولا تهدأ فى اللذة والألم . وفى السعادة والشقاء . والحب والبغضاء ، ويعيش فى ذلك الجو المرفرف الطليق الذى هو مزاج من العرائس والجنيات ؛ ومن الفاتن والشهوات ، ومن المكائد والمجازفات . ومن الطبيعة الشاحرة الفائقة الحية الفائضة بالحياة المتجاوبة مع كل شيء فى هذا الكون الكبير ! إنها حياة تشوق وتعجب وتثير الحس والوجدان .

ويجب أن أقول : إن الأستاذ دريني خشبة قد أفلح فى نقل هذا الجو الحى الفائض بالحيوية ، وأن أسلوبه قد اضطلع بتصوير الحركة التى لاتهدأ فى هذه الأساطير . وإن هذا وحده لشيء رائع فى حد ذاته .

ولكن ! — ورددت ألا أجد لها مكانا فيما اقول . !

لقد قادته رغبة التجويد فى التعبير ، والتفخيم فى الأسلوب إلى أشياء أود لو تنبـــه لها كل مؤلف . وكل مترجم على وجه خاص :

إن المطلوب فى الترجمة — خاصة — ليس هو نقل المعانى والأفكار فحسب ، ولكن نقل الجو الذى تعيش فيه هذه المعانى والأفكار . هذا الجو رهين بطريقة الأداء وبالفاظ الأداء . وفى كل لغة بعض الاصطلاحات وبعض الألفاظ . تعد بضاعة محلية . لاسبيل إلى نقلها من بيئتها إلى أية بيئة أخرى . ذلك أنها تشع جواً إقليميا أو قومياً خاصاً يتمثله الخيال بمجرد نطقها فى أى مجال .

هذه الألفاظ وهذه التعبيرات موجودة فى اللغة العربية . وهى تصور جوها بمجرد ورودها . — وهى لحسن الحظ قليلة نسبياً بالقياس إلى معجم اللغة اللغوى والفنى — وهى لا تصلح للاستخدام فى الترجمة على وجه خاص ، لأنها تعارض الجو الذى يجب نقله ؛ وتعترض الخيال المستغرق فى جو خاص بقطعة من الجو العربى البحت الذى لا انسجام بينه وبين ذلك الجو الخاص

إن للألفاظ والتراكيب أرواحاً كما للأفراد الإنسان . وكثيراً ما خيِّل إلىّ وأنا أقرأ بعض الترجمات ، أن المترجم يقذف برجل بدوى فى زيه الخاص على المسرح بين جماعة من الأوربيين ، فيخل بكل انسجام !

وفى أساطير الحب والجمال شيء من هذا : يتمثل فى بعضه استعباد النصوص للمؤلف ، كما تتمثل فى بعضه الفتنة بالإغراب . ولا يتسع المجال لاستعراض جميع هذه المواضع فنكتفى ببعض الأمثال :

١ — من الأمثلة على استعباد النصوص ، أن يرد فى أسطورة إغريقية وثنية قول أبوللو لابنه : « فسر على دربها تصل إن شاء الله » فطريف هنا ذكر « إن شاء الله » من إلهى إغريقى ودع عنك « سر على دربها » وما تمثله من بيئة صحراوية . وأن يرد كذلك فى كلام هذا الإله نفسه : « ولا تنس السماء التى تجرى فوقى لمستقر لها » وما فيه من جو قرآنى ينقل القارىء من أساطير الإغريق إلى القرآن الكريم . ومثله وصف شارون حارس الجحيم لجهنم كما وصفها القرآن : « لا تبقى ولا تذر ، وإنها أبداً ترمى بشرر كالقصر »

وكثير من هذه النصوص القرآنية ومن مأثورات الشعر العربى والتعبيرات الإسلامية البحتة يتعارض فى بعض الأحيان

لامع الجو الأسطورى فحسب ولكن مع الحقائق الموضوعية كذلك أو مع المشاهدات الواقعية . فلست أحسب أن « المنافقين فى الدرك الأسفل من النار » عُمت بصلة إلى أوضاع الجحيم الإغريقى ! ولست أحسب أن الكبش حين يذبح « يُتَلُّ للجبين » كما تلّ إبراهيم ولده للجبين فى القرآن . فالكبش يتل للجنب ، لأنه لا يذبح على طريقة ذبح الإنسان ! ... ولست أحسب أن عرائس الماء كانت تقول كما قالت نساء امرأة العزيز فى القرآن : « ما هذا بشراً إن هذا إلا ملك كريم » أو أن عجوزاً أسطورية تقول لفتى إغريقى : « ألم تسمع من يقول : « وكم لظلام الليل عندى من يد » وتلك شطرة شعر عربى لم تكن قيلت بعد حتى يسمعها الفتى المسكين ! ... وهكذا وهكذا من هذه الأمثلة لاستبعاد النصوص المؤلف ، واضطراب الجو الأسطورى الإغريقي بما يلقي فيه من ظلال عربية أو إسلامية خاصة لا تتفق مع هذا الجو بحال

٢ — وأما الفتنة بالإعراب فقد ظهرت كذلك فى مواضع كثيرة : فلست أدرى لم تنبذ كلمة المرآة ليوضع مكانها « السنجنجل » ولا كلمة نَمِش ليوضع مكانها « إران » ولا كلمة الظمأ ليوضع مكانها « الحواد » ولا كلمة المسائد لتوضع مكانها « الحسبانات » . كما لا أفهم أن تكون الفتاة الإغريقية « خدلجة » ! ولا جماعة الفتيات « ربربا »

وليس من عادتى أن أقف للأخطاء اللغوية البحتة ولكننى أنبه هنا إلى غلطات قليلة لعل معظمها من أخطاء المطبعة .

ولكم وددت أن يخلص كتاب الأستاذ دويدى من هذا كله ليتم المتاع به فى جوه الإغريقى الأصيل !

(٢)

و « عشاق العرب » إنه هو الآخر ليس « رجعة » وليس « تأليفاً » ! ولكنه فى هذه المرة مزاج بينهما عن أقاصيص الحب العربى . فلقد عمد الأستاذ « كامل عجلان » إلى بعض أخبار المحبين المبعثرة فى المراجع العربية ، التى لا يتيسر العثور عليها لشبان الجيل ، لأن معداتهم الرقيقة لا تستطيع هضم هذه المراجع الجافة . فصاغ منها قصصاً بأسلوب الحوار . وجعل من الخبر أو من مجموعة الأخبار رواية حب فى فصل أو فصول . فكانت من ذلك روايات : حبابة مع يزيد بن عبد الملك . وزينب مع ابن سلام ومع يزيد بن معاوية . ولبنى مع قيس ثم غادة الهودج مع الآمر بأحكام الله ومع الشاعر ابن ميّاح (فى أربعة فصول)

وأنا أعد هذا العمل خليطا من الترجمة والتأليف فالواقع أننا حين نعرض بعض النصوص القديمة فى أسلوبنا الحديث إنما نقوم بعملية ترجمة من معجم جيل إلى معجم جيل . ومن طريقة عرض قديمة إلى طريقة عرض جديدة . وقد كان هذا القسم من عمل الأستاذ كامل عجلان موفقاً ونافعاً . وهو طريقة من طرق الإحياء لتراث المكتبة العربية .

وأما القسم الثانى فلم يستكمل مداه . ذلك أنه أفرط فى تى التقيد بالنصوص التاريخية ، فلم يتسع أمامه المجال للخلق الفنى . وإن يكن حين وسّع على نفسه بعض الشىء قد رسم خطوطا موفقة فى ملامح بعض الشخصيات كشخصية « برغش » المهرج فى غادة الهودج . وقد نص هو فى المقدمة على أن قصده كان مجرد الإحياء والامتاع بهذا القديم المهجور

فإذا كان معتزما إخراج مجموعة أخرى كما قال فى نهاية الكتاب فوصيتنا إليه أن يخطو خطوة أخرى فيعنى بتصوير الشخصيات الروائية ، وتسجيل الانفعالات النفسية ، وألا يكتفى بعرض الحادثة التاريخية ، بطريقة حوارية . ولعله حين يفعل هذا يستغنى عن كثير من الإشارات المسرحية التى كثرت فى كتابه لتهيئة الجو للقارىء . فالحوار يجب أن يستقل برسم هذا الجو بطبيعة ألفاظه الموحية لا بالإشارات المسرحية الخارجية .

وبعد فقد استمتعت بهذه القصص . أنا الذى تستطيع معدتى الخشنة أن تهضم أصولها القديمة فما أجدر شبابنا الرقيق اللطيف أن يستمتع بها إذ لا مورد له سواها !

سيد قطب

مطبعة الرسالة

مستعدة لطبع الكتب والمجلات

بما عرف عنها من

الدقة ، والسرعة ، والنظافة ، والنزول ، واعتدال الأسعار